مضامين تربوية من علوم القرآن
نماذج مختارة

د. عماد عبدالله محمد الشريفين
قسم الدراسات الإسلامية ـ كلية الشريعة
جامعة اليرموك ـ إربد ـ الأردن

ملخص البحث :

يهدف البحث إلى إبراز العلاقة التكاملية بين العلوم الشرعية، والعلوم التربوية من خلال استخلاص بعض المضامين التربوية التي يمكن أن توجه عمل المؤسسات التربوية، وتؤثر في أهدافها، وآليات عملها، ولتحقيق أهداف البحث؛ عمد الباحث إلى استخدام المنهج الوصفي التحليلي، فانتهى إلى أن المضامين التربوية متعددة؛ فمنها أساسيات تربوية يجب أن تستند إليها العملية التربوية، مثل: أن تكون العبودية لله تعالى هي القاعدة الأساس للتربية، وبناء الفكر التربوي على احترام العقل الإنساني وفق المنهجية العلمية، وإنسانية التوجيه التربوي، وأهداف تربوية يجب أن تسعى المؤسسات التربوية لتحقيقها، مثل: زيادة الاهتمام بالقراءة، وبيان دورها في العملية التربوية، والدعوة إلى زيادة الاهتمام، والاعتناء باللغة العربية، والتعريف برسالة القرآن المتمثلة بالهداية، والرشاد؛ للكشف عن الحقائق القرآنية العلمية، والإنسانية، والأدبية، والتربوية، والاجتماعية، وكذلك توجيهات تربوية متعلقة بعناصر العملية التعليمية، وهي: المنهاج، والمعلم، والمتعلم، والطرائق، والدعوة إلى إبراز الإعجاز التربوي في القرآن الكريم.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد عني المفكرون بالقرآن الكريم عناية لم يظفر بمثلها كتاب سواه، وتبدو هذه العناية في كثرة المؤلفات والدراسات عن القرآن الكريم، فتعددت مناحي الأخذ منه إلا أن أعظم وجوه الأخذ من القرآن الكريم الوجه التربوي، فهو مبثوث في القرآن كله، فلا تكاد تخلو سورة منه.

والقرآن الكريم مع كونه كتاب عبادة يتقرب بتلاوته المسلم إلى الله سبحانه وتعالى، فهو أيضاً كتاب شامل في التربية، وقد وضع منهجاً للتربية العقلية، والنفسية، والجسمية، وأشار إلى أصول هذه المجالات في كثير من آياته، وهو المصدر التربوي الذي لا يعتريه نقص، والمنهج المتكامل الذي إن طبق - بشكل سليم وواضح - أعطانا الأفضل والأكمل... وبناءً عليه لا بد أن يهرع الباحثون في العلوم التربوية إلى القرآن الكريم كي يستلهموا منه المقومات الكفيلة ببناء الإنسان بناءً راسخاً قوياً لا يلين ولا يتزعزع أمام المحن، والأعاصير.

وهذه الحقائق المرتبطة بالقرآن الكريم منوطة بمعرفة علوم القرآن، أي فهم تنزيلاته، وطرائق جمعه، وكيفية رسمه، ووجوه إعجازه، وهذه العلوم تتضمن العديد من الأهداف التربوية، والتوجيهات المتعلقة بمختلف عناصر العملية التعليمية، والقيم التربوية، والإنسانية، أي تتضمن فكراً تربوياً يجب على الباحثين المسلمين العمل على استخلاصه، وتحليله حتى نفيد منه في واقع الحياة، وبذلك تبرز العلاقة التكاملية بين العلوم الشرعية، والعلوم التربوية، ويتأكد بطلان دعوى الداعين إلى تحديد الدين؛ لأنه غير قادر على مواكبة العصر.

وقبل البدء بعرض المضامين التربوية في علوم القرآن لا بد من تأكيد الآتي.

١- إن مفهوم التربية جاء في القرآن الكريم بدلالات متعددة وواسعة، وكلها من مستلزمات التربية بالمعنى الإسلامي، فمن لوازم التربية: الرعاية، والعناية، والإيواء، والولاية.

٢- إن كل مفهوم من المفاهيم الآتية: الكفالة والتنشئة، والرعاية، والولاية، والإيواء، والتزكية، تتعلق بمفهوم التربية تعلقاً واضحاً، بحيث لا تظهر التربية بالمعنى الإسلامي إلا باستدعاء تلك المفاهيم، واستحضارها في الذهن.

٣- إن مفهوم التعلم من أكثر المفاهيم تكراراً وشمولاً في القرآن الكريم، فهو لا يقتصر على القراءة والكتابة، بل يشمل الجوانب المهنية، والتدريبية، وتعلم المهارات.

٤- إن كلمة الهدف، أو الغرض، أو الغاية لم ترد في القرآن الكريم، ولكن وردت عدة كلمات في اللغة تدل عليها مثل القصد، والبغية، والمرمى، والطلب، وهي تحمل نفس المعنى.

وأخيراً، فإن المضامين التربوية في هذا البحث دلالات استنتجها مخلوق محدود العلم ينظر في كتاب الخالق ذي العلم مطلق، وهي دلالات من إنسان يؤمن بأن فهم السلف لكتاب الله تعالى لا يعفي الخلف من مسؤولياتهم تجاه هذا الكتاب العزيز، ولم أقصد بهذه المضامين تفسيراً الآيات القرآن الكريم، بل هي عبارات قصيرة، وسريعة تحتاج إلى توقف وتأمل، آملاً أن تضيف معاني تربوية جديدة.

أسئلة البحث:

يسعى البحث إلى الإجابة عن السؤال الرئيسي الآتي:

ما المضامين التربوية في مباحث علوم القرآن؟ حيث يتفرع إلى:

١- ما المضامين التربوية في تعريف القرآن الكريم؟

٢- ما المضامين التربوية في نزول، وجمع، وكتابة القرآن الكريم؟

٣- ما المضامين التربوية في إعجاز القرآن الكريم؟

أهداف البحث:

يسعى الباحث من خلال البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١- إبراز العلاقة التكاملية بين العلوم الشرعية، والعلوم التربوية، مما يساعد في بناء نظرية تربوية إسلامية.

٢- استخلاص بعض المضامين التربوية التي يمكن أن توجه عمل المؤسسات التربوية، وتؤثر في أهدافها، وآلية عملها.

منهجية البحث:

يعتمد الباحث في دراسته على المنهج الوصفي التحليلي، إذ إن الدراسة قائمة على وصف مباحث علوم القرآن، ثم تحليليها، واستخلاص المضامين التربوية منها.

حدود البحث:

يقتصر هذا البحث على دراسة ثلاثة مباحث يراها الباحث رئيسة في علوم القرآن، وهي تعريف القرآن الكريم، ونزوله وجمعه، وإعجازه.

خطة البحث:

المقدمة: وتشمل: أهمية الدراسة، وأهدافها، وأسئلتها، ومنهجها، وحدودها، وخطة البحث التفصيلية.

المبحث الأول: تعريف القرآن، والمضامين التربوية فيه.

المطلب الأول: تعريف القرآن.

المطلب الثاني: المضامين التربوية في تعريف القرآن الكريم.

المبحث الثاني: نزول القرآن الكريم وجمعه وكتابته والمضامين التربوية فيه.

المطلب الأول: نزول القرآن الكريم وجمعه وكتابته.

المطلب الثاني: المضامين التربوية في نزول القرآن الكريم، وجمعه وكتابته.

المبحث الثالث: إعجاز القرآن الكريم، والمضامين التربوية.

المطلب الأول: إعجاز القرآن الكريم.

المطلب الثاني: المضامين التربوية في إعجاز القرآن الكريم.

مصطلحات الدراسة:

تحوي الدراسة مجموعة من المفاهيم، والمصطلحات التي يجب بيانها، ولعل من أهمها:

أولاً: المضامين التربوية:

يقصد بالمضامين التربوية بشكل عام: "خلاصة الفكر التربوي الذي يشتمل عليه كتاب معين بغض النظر عن المجال الرئيسي الذي ألف فيه الكتاب، فقد يكون الكتاب مرجعاً فقهياً، أو أدبياً، أو تاريخياً، بالدرجة الأولى إلا أنه لا يخلو من فكر تربوي متضمَّن في ثناياه ويمكن استخراجه، والإفادة منه"[1].

أما المضامين التربوية في هذا البحث فهي ما تتضمنه مباحث علوم القرآن من

(١) محمد ناجح أبو شوشة، المضامين التربوية في أهم مصادر المذهب الشافعي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة جنوب الوادي، جمهورية مصر العربية، ٢٠٠٢م، ص ١٤.

أهداف، وتوجيهات، وقيم تربوية يمكن استنباطها من خلال الدراسة والتحليل، أو خلاصة الأهداف، والتوجيهات التربوية المتعلقة بالعملية التعليمية التي يمكن استنباطها من بعض مباحث علوم القرآن من خلال الدراسة والتحليل.

ثانياً: علوم القرآن:

تعددت تعريفات العلماء لمصطلح "علوم القرآن" ومن أشهر هذه التعريفات أنه:

١- "مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله، وترتيبه، وجمعه، وكتابته، وقراءته، وتفسيره، وإعجازه، وناسخه، ومنسوخه، ودفع الشبه عنه، ونحو ذلك"(١).

٢- "العلم الذي يتناول الأبحاث المتعلقة بالقرآن من حيث معرفة أسباب النزول، وجمع القرآن، وترتيبه، ومعرفة المكي، والمدني، والناسخ، والمنسوخ، والمحكم، والمتشابه إلى غير ذلك مما له صلة بالقرآن"(٢).

٣- "علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيثيات مخصصة كنزوله، وجمعه، وترتيبه، إلى آخر ما يعرض لموضوع هذا العلم، والذي هو القرآن الكريم نفسه"(٣).

---

(١) محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٦م، ج١، ص ٢٤- ٢٥.

(٢) مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٩٦م، ص ١٢.

(٣) إبراهيم عبد الرحمن خليفة، منة المنان في علوم القرآن، مصر، مطبعة الفجر الجديد، ط١، ١٩٩٣م، ج١، ص ٢٦٨.

إن المتأمل في التعريفات السابقة يلحظ أن هذا العلم يشتمل على تفسير القرآن، وقراءاته، ولغته، وعلومه، ودلالاته، ونزوله، وإعجازه، ويمكن القول إن العلماء قد اختلفوا فيها، وأوردوا في كتبهم من موضوعات هذا العلم، فقد أورد الزركشي في البرهان نحو سبعة وأربعين نوعاً، كما أورد السيوطي في الإتقان نحو ثمانين نوعاً، وعلى منوالهم نسج من جاء بعدهم.

* * *

المبحث الأول: تعريف القرآن الكريم، والمضامين التربوية:

يشمل المبحث مطلبين، المطلب الأول: تعريف القرآن الكريم، والمطلب الآخر: المضامين التربوية في تعريف القرآن الكريم.

المطلب الأول: تعريف القرآن الكريم:

القرآن الكريم هو دستور الأمة الإسلامية، وركيزة صلاح، وخير كافة المخلوقات في جميع العصور والأمكنة، وهو أصل الأدلة الشرعية، وكتاب المسلمين، اهتموا به منذ فجر الرسالة تلاوة، وفهماً، وحفظاً في صدور الرجال، ثم عكفوا عليه تدويناً، وجمعاً، ونشأت حوله علوم القرآن المختلفة.

والقرآن الكريم ليس بحاجة إلى تعريف، فالذي يُعرَّف هو المجهول، والقرآن ليس مجهولاً، فهو معلوم للعام، والخاص، والصغير، والكبير، والرجل والمرأة، ومع هذا فقد اعتنى الأصوليون بتعريفه، وذكروا له تعريفات شتى حرص كل منهم أن يكون تعريفه جامعاً مانعاً، ليبنوا على التعريف أموراً يجب أن يعرفها الدارس[1].

وقد اختلفت تعريفات القرآن الكريم بالمعنى الاصطلاحي تبعاً لاختلاف جهة النظر إليه، فقد ينظر إليه باعتباره ألفاظاً منطوقة بالألسنة ومسموعة بالآذان، ومحفوظة في الصدور، وقد ينظر إليه باعتباره حروفاً مكتوبة في المصحف، وقد ينظر إليه باعتباره كلاماً نفسياً قائماً بذاته[2]. ومن أهم التعريفات الجامعة الشاملة

---

(١) عبد الكريم زيدان، الوجيز في أصول الفقه، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ٥، ١٩٩٦م، ص١٥٢.
زكي شعبان، أصول الفقه الإسلامي، القاهرة، دار الكتاب الجامعي، ١٩٨٩، ص٢٩.

(٢) عماد طه الراعوش، علوم القرآن عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير، دراسة ونقد، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة اليرموك، كلية الشريعة، ٢٠٠٥م، ص ٥٧.

التي ذكرها العلماء للقرآن الكريم:

- "كلام الله تعالى المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، المعجز، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المكتوب في المصاحف، من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس"(١).
- "القول أو الكلام المنزل على سيدنا محمد ﷺ المعجز بسورة منه، المنقول بالتواتر المكتوب في المصاحف المتعبد بتلاوته"(٢).
- "كلام الله تعالى المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم باللسان العربي للإعجاز بأقصر سورة منه، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس"(٣).

إن المتأمل في التعريفات السابقة يخلص إلى أن القرآن الكريم تميز بعدد من الميزات، والخصائص التي تميزه من غيره من الكتب السماوية السابقة، وأحاديث النبي ﷺ، وكلام البشر. منها أنه كلام الله وحده، وأما لفظه فعربي، منقول بالتواتر، ومتعبد بتلاوته، ومحفوظ من التحريف، وأنه معجز، وهذا ما لم يتميز به أي كتاب آخر.

أما تسميته قرآناً فهو مخالف لما سمى به العرب كلامهم على الحمل والتفصيل(٤)

---

(١) محمد بن محمد أبوشهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم، بيروت، لبنان، دار النيل، ١٩٩٢م، ص ٢٠.

(٢) محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٠م، ج١، ص ١٩.

(٣) وهبة الزحيلي، الوجيز في أصول الفقه، دمشق، دار الفكر، ص ٢٤.

(٤) جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (٩١١هـ) تحقيق د.محمود قيسية، ومحمد الأتاسي، ط١، الإمارات العربية المتحدة، مؤسسة النداء، ٢٠٠٣م، ١/٢٣٤.

وله تسميات كثيرة منها الكتاب والمصحف، والتنزيل، والفرقان، والذكر، وله أوصاف عديدة منها، نور، وهدى، ورحمة وشفاء، وموعظة، وبشير.

والقرآن، والكتاب بمعنى واحد عند الأصوليين، وصار كلاً منهما علماً على كتاب الله المقروء[1]. وقد سماه الله كتاباً في قوله: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ [آل عمران: ٣]. وسماه قرآناً في قوله: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩]. فسمي قرآناً لكونه متلواً، وسمي كتاباً لكونه مدوناً بالأقلام، وقال العلماء: لفظان يدلان على معنى واحد[2].

المطلب الثاني: المضامين التربوية في تعريف القرآن الكريم:

إن المتأمل في العناصر المتعلقة بتعريف القرآن الكريم يخلص إلى بعض المضامين التربوية، وهي على وجهين، الأول: أساسيات تربوية يجب أن تستند إليها العملية التربوية والآخر: أهداف تربوية يمكن تحقيقها من خلال العملية التربوية.

الفرع الأول: الأساسيات التربوية المتضمنة في تعريف القرآن الكريم:

الأساسيات التربوية هي القواعد، والأصول المستمدة من تعريف القرآن الكريم والتي يجب أن تستند إليها العملية التربوية، وفيما يلي أهم هذه الأساسيات التربوية:

أولاً: العبودية لله تعالى القاعدة الأساس للتربية:

تفتقر التربية الحديثة إلى هذا المبدأ العظيم، إذ تعنى بتربية الإنسان ليكون عبداً

(١) محمد إمام، أصول الفقه الإسلامي، القاهرة، دار المطبوعات الجامعية، ٢٠٠٢م، ص ١٤٠.

(٢) محمد شلبي، أصول الفقه الإسلامي، بيروت، دار النهضة، ١٩٨٦م، ص٧٠.

للمادة، بل وتقوم على فلسفات، ونظم تنظر إلى الإنسان نظرة مادية دون أن يكون أي اعتبار للمكون الروحي في الإنسان.

فالمتأمل في تعريف القرآن الكريم يلحظ أنه قرر غاية التربية والتي تتجلى في تحقيق العبودية لله تعالى، فالإنسان الذي تهدف إليه التربية الإسلامية هو الإنسان العابد، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وتتحقق العبودية للحق سبحانه وتعالى بتحرير الإنسان من العبودية للبشر والحجر وسائر الأشياء، فالعبودية تقتضي الخضوع للحق سبحانه، والإقرار بأنه الذي يستحق العبادة، وقد وصف الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم في أكثر من موطن بأنه عبد، فقال تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١].

وبناءً عليه يجب أن يكون قاعدة انطلاق العملية التربوية بجميع عناصرها: الأهداف، والوسائل، والمحتوى، والتقويم من تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى.

ثانياً: بناء الفكر التربوي على احترام العقل الإنساني:

أشار تعريف القرآن الكريم إلى احترام العقل الإنساني من خلال بيان أن القرآن الكريم معجز، والإعجاز يدل على ضعف الإنسان، وعجزه عن أن يأتي بمثل القرآن الكريم، واحترام عقله من أن يتبدد فيما لا طاقه له به، وكذلك دعوته للتأمل، والتفكر، والبحث فيما أشارت إليه الآيات الكريمة من مختلف صنوف الإعجاز.

إن العقل هو الأداة التي يفهم ويتأمل ويتفكر بها الإنسان، والعقل مناط

التكليف الرباني للإنسان، وبه صار الإنسان أهلاً للخلافة، ولم يرد لفظ العقل في القرآن الكريم، وإنما صرحت آيات الكتاب الحكيم بالعمليات العقلية المختلفة فجاءت صيغ: عَقَلُوه، نَعْقِلُ، يعقلون، مما لا شك فيه أن المخاطب في الآيات الكريمة هو العقل، فثمة آيات كريمة تدعو إلى النظر، والنظر يقوم على الفحص، والتأمل، والتبصر؛ لقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ [عبس: ٢٤]، وآيات كريمة تدعو إلى التدبر والتفكر، والاعتبار، والعظة، والتذكر، ومما يدل على احترام العقل الإنساني ودعوته لاستخدام مختلف العمليات العقلية ورود النصوص التي تدعو إلى الفهم، والتدبر، والاستقراء.

وبناءً عليه لابد أن تبنى المناهج الدراسية، والخطط على احترام العقل الإنساني، وأن يراعي إمكاناته، وقدراته، وإلا بددت طاقات العقل الإنساني فيما لا طائل من وراء دراسته، وبحثه.

ثالثاً: بناء الفكر التربوي وفق المنهجية العلمية:

من القضايا الرئسية التي يمكن استنتاجها من تعريف القرآن الكريم، إشارته إلى المنهجية العلمية الخاصة بنقل القرآن الكريم، وهي منهجية التواتر، والتواتر هو نقل الجمع عن الجمع بحيث يستحيل تواطؤهم على الكذب.

والقرآن الكريم أرسى قواعد المنهجية العلمية العامة، حيث حث على بناء الحقائق على الدليل والبرهان، أي تتبع الحقائق، والتثبت من صدقها، أو نفيها، ونجد هذا الأمر مبثوثاً في كتاب الله تعالى، فطالب بإقامة الدليل، والبرهان على من يزعم أي شيء، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١].

ومن القواعد العلمية التي أرساها القرآن الكريم الدعوة إلى الابتعاد عن الظن في استنتاج الحقائق، فدعا القرآن الكريم إلى نقض الاستدلال الذي يقوم على اتباع الظن، وعد الاعتماد عليه مخالفة للمنهج العلمي في الوصول إلى الحقائق، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾ [النجم: ٢٧-٢٨]، ومن هذه القواعد كذلك، محاربة التقليد الأعمى، فالتقليد يقتل التفكير ويلغي العقل المأمور بالتفكر والنظر، فنجده يعيب على المقلدين، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [المائدة: ١٠٤].

إن علم التربية في هذه الأيام بحاجة إلى أن يبنى وفق هذه المنهجية العلمية، سواءاً تعلق ذلك بالمناهج والوسائل التعليمية، وعلم النفس، والإدارة، أو حل المشكلات التربوية العالقة التي تواجهها الأمة، وحتى لا يبقى هذا العلم ميدانياً مستباحاً لكل من أراد، فبناؤه وفق منهجية علمية إسلامية يذهب الزبد الذي لا طائل من ورائه، ويبقى ما ينفع الناس.

رابعاً: إنسانية التوجيه التربوي:

تربية الإسلام كما في كتاب الله تعالى لها معيار آخر غير المواطنة أو الجنسية أو الموقع الجغرافي، وغير ذلك من المعايير، فهي تقوم على أن الجميع في مستوى واحد من الكرامة، والحرية، والإنسانية، قال سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣]، ومما يدل على إنسانية التوجيه التربوي في

تعريف القرآن الكريم، أن هذا الكتاب للناس عامة، وليس لفئة دون أخرى، إن الله بعث محمداً ﷺ إلى البشر كلهم وفي كل الأزمنة والأمكنة، قال سبحانه تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١]. وكذلك نلحظ الاحتفال بخلق الإنسان من بين سائر المخلوقات، فأشارت النصوص إلى العناية المخصوصة من الله تعالى بهذا المخلوق، قال سبحانه وتعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴾ [ص: ٧٥]، وبناءً عليه لابد أن تتوجه التربية وترتبط برب العالمين، كما ينبغي أن تكون موجهة لمصلحة البشر جميعاً طالما ساروا على الطريق الذي يوصل إلى رضا الله سبحانه وتعالى.

خامساً: القرآن الكريم ضابط للفكر التربوي:

أي إن الأمور التربوية يجب ألا تتعارض مع النصوص الواردة في القرآن الكريم، بل يجب أن تستند إلى نصوص القرآن الكريم، والسنة المطهرة، فلابد أن يبنى الفكر التربوي على أسس ثابتة، مسلم بها، تنبعث من عقيدة واضحة صافية لا تعقيد فيها، ولا التباس.

فالإنسان مخلوق ذو ميول، ورغبات، يجب أن تراعى هذه الجوانب في الفكر التربوي، فلا يطغى جانب على آخر؛ فيختل سلوك الإنسان، وبالتالي يختل التناسق في المجتمع، والكون فتنحرف الإنسانية إلى الفوضى والضياع، فلا يغلو في جانب العبادة، ولا يقصر في مطالب الجسد، ولا يشط في مطالب الروح، ولا يكبت الرغبات والميول، وكل ذلك يكون بفعل الفكر التربوي المنحرف.

الفرع الثاني: الأهداف التربوية المتضمنة في تعريف القرآن الكريم:

تعريف القرآن الكريم يرفد بمجموعة من الأهداف التربوية التي يجب أن تتظافر جهود المؤسسات التربوية لتحقيقها، ومن أهم هذه الأهداف:

الهدف الأول: زيادة الاهتمام والاعتناء باللغة العربية:

أفاد تعريف القرآن الكريم أن اللغة التي كتب بها هي اللغة العربية، وهذا يدعو إلى مزيد من العناية بها، فاللغة ليست طريقة تعبير فقط، وإنما هي طريقة تفكير، فالإنسان يفكر من خلال لغته، ولا يمكن أن يبدع إلا من خلال اللغة الغالبة عليه، وقد اختار الحق سبحانه الرسالة الخاتمة الموجهة إلى البشرية باللغة العربية، وهذا الاختيار يدل على مكانتها، فهي لغة جميلة يظهر جمالها في بلاغتها، وحروفها، وكلماتها، وجملها، وما بينها من تناسب وتناسق، وهي لغة سهلة من حيث سهولة الكتابة، والإملاء، والقراءة، بالإضافة إلى أنها لغة سهلة، ومقدسة وخالدة تبعاً لخلود القرآن، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]. وقد تعرضت اللغة العربية إلى حملات المحاربة، والتشكيك، والطعن، ومن صور هذه الحملات الدعوة إلى العامية ومحاربة الفصحى، والدعوة إلى تطوير اللغة، أي التخلي عن قواعد الإعراب والكتابة وتغيير قواعد الصرف، وحذف الألفاظ المترادفة، والمتضادة، وترك المجاز، والاعتداء على كثير من مباحث اللغة، وتتمثل زيادة الاهتمام باللغة العربية في صور متعددة منها:

١- إيلاء المناهج الدراسية عامة، واللغة العربية خاصة العناية اللازمة باللغة العربية فتقدم للدارسين بسهولة، وبعيدة عن التعقيد.

٢- زيادة الجهود في مجال التعريب، فالجهود البسيطة في مجال

التعريب، ومناهج التعليم دليل على قدرة اللغة العربية على مواكبة تطورات العصر.

٣- ضرورة تجسيد قاعدة أن اللغة العربية ثابت من الثوابت الإسلامية، ويجب التحلي بروح التفاني والإخلاص في خدمتها، وأن الدفاع عنها واجب مقدس.

٤- العمل على تدبر الأساليب القرآنية، والنبوية في استخدام اللغة، والعمل على ترويج استخدام الألفاظ الواردة في القرآن، والحديث النبوي.

٥- ضرورة إحداث تغيرات جوهرية في أساليب، وطرائق تدريس اللغة العربية، حتى يقبل التلاميذ على تعلم اللغة العربية، وهنا لابد من تأهيل المعلمين تأهيلاً مناسباً يمكنهم من تعليمها بمهارة.

٦- العمل على تخصيص مكافآت مجزية للتلاميذ، والأشخاص المبدعين في اللغة العربية.

الهدف الثاني: بيان أهمية القراءة ودورها في العملية التربوية:

يستخلص من تسمية القرآن الكريم بهذا الاسم بيان أهمية القراءة، فالقراءة هي الوسيلة الأساسية للاتصال بين الأفراد، والمجتمعات، وهي الأداة لكسب المعارف، والتعلم، فهي تتيح رؤى جديدة، وتنير الأفكار، وتطور الحياة، وتحل المشكلات، وترفع المستوى الحياتي للإنسان، فمن يقرأ أكثر يرتق أكثر، وهي الوسيلة الوحيدة التي تجعل الإنسان يتجاوز الألوان، والأجناس.

وللدلالة على أهمية القراءة حادثة بدء الوحي، فكان أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل

فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو في غار حراء، فيحنث فيه الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة، فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال له: اقرأ! فقال ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ فقلت: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني، فقال: اقرأ باسم ربك. فالقراءة التي أمر بها الله خاتم الأنبياء والمرسلين، قراءة قاصدة، واضحة الأهداف، منضبطة المقاصد، قراءة مستصحبة للمنهج الإلهي، والمزودة بنعمه، وفضله، وكرمه، قابلة للتعلم والتعليم عند الإنسان، وهي من أكبر النعم على الإنسانية، والتي تقتضي الشكر، وهي بذلك وجهت العلم، وإنتاجه لصالح الإنسان[1].

فالقراءة طريق رقي الأمم، فاليونان كانوا من أكثر الناس قراءة، ومن أكثرهم إنتاجاً فكرياً، والمسلمون انطلقوا من "اقرأ" وطلبوا العلم من كل مصدر، فنالوا قديماً المنزلة الرفيعة، والغربيون في هذا الوقت هم الأكثر قراءة؛ لذا هم في مقدمة الأمم.

إن القراءة الدائمة باب للتعلم المستمر الذي هو ضروري لمواكبة التطور، والمتغيرات، ومهما كان مجال تخصص الفرد فإن معلوماته تتناقص عاماً بعد عام إذا أهمل القراءة، فهي طريق الجمود والتقليد.

وبناءً عليه يجب على المؤسسات التربوية تعليم الأفراد القراءة أولاً، ثم تشجيعهم على القراءة ثانياً، وذلك بمختلف الطرائق، والأساليب سواء بفتح

(١) نور الدين بلبل، الارتقاء بالعربية في وسائل الإعلام، سلسلة كتاب الأمة، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، عدد ٨٤، سنة ١٤٢٢هـ، ص ١١.

المكتبات العامة، أو تخصيص الجوائز القيمة، أو تأهيل المعلمين، وتزويدهم بما يحتاجون إليه من مصادر، ومراجع في تخصصاتهم؛ حتى يثروا معلوماتهم، والاهتمام بالبحث العلمي والتربوي؛ لأن البحث العلمي التربوي باب واسع للقراءة، ولا يفوت الباحث الاسم الثاني للقرآن الكريم، وهو الكتاب الذي يدل على أهمية الكتاب، ودوره.

الهدف الثالث: التعريف برسالة القرآن المتمثلة بالهداية والرشاد:

يستخلص من تعريف القرآن الكريم رسالته المتمثلة بالهداية، والرشاد، قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وأحكام القرآن ما جاءت إلا لتحقيق مصالح العباد في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا﴾ [الإسراء: ٨٢].

لذا يجب أن تسعى العملية التربوية إلى ترسيخ العقيدة، والإيمان في نفوس المتعلمين، وتكوين الوعي، والفهم لشريعة الإسلام، وأحكامه، ورسالته، وغايته، وذلك عن طريق تضمين المناهج الدراسية هذه الرسالة، بالإضافة إلى سعي المؤسسات التربوية إلى نشر رسالة القرآن في أرجاء الكون؛ للتعريف بها، ودفع الشبه عنها عن طريق البعثات التعليمية المتبادلة.

والمؤسسات التربوية مطالبة أيضاً بتوضيح منهج القرآن في الدعوة والإصلاح، قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]، وذلك لتنمية منهج التفكير عند التلاميذ والذي يجعلهم يدركون خصائص الإسلام، وميزاته ومنهجيته.

إن التعريف برسالة القرآن المتمثلة بالهداية والإرشاد، والكشف عن منهجيته في الدعوة يفضح انحراف المنحرفين المغالين في هذا الزمان الذي صار فيه الإسلام متهماً ـ بالباطل ـ بالقتل، والإرهاب، والعنف، والتدمير.

الهدف الرابع: الدعوة إلى الكشف عن الحقائق القرآنية العلمية، والإنسانية، والأدبية والتربوية، والاجتماعية:

إن القرآن مليء بدقائق الأمور التي تشكل قناعةً، وطمأنينة للإنسان، ولها دور بارز في تغيير سلوكه، فالقرآن مليء بالحقائق التربوية، وأنماط السلوك الاجتماعية التي يجب على المسلم أن يكون على وعي بها، وإدراك لها، وهي صالحة لكل زمان ومكان، فالقرآن الكريم معجزة معنوية تليق بكرامة الإنسان، وحتى تكون متجددة على مر العصور، والأجيال يجب على المسلمين الكشف عن الحقائق القرآنية المختلفة، والأمر الآخر أن تضمن هذه الحقائق ضمن المناهج الدراسية المختلفة (علوم، كيمياء، رياضيات ...)، وتدرس للطلبة بأسلوب شيق، وممتع؛ مما يثير في نفوس الطلبة حب البحث عن حقائق أخرى في القرآن الكريم.

الهدف الخامس: إبراز الجانب التعبدي في القرآن الكريم من خلال المنهاج الدراسي:

يشير تعريف القرآن الكريم إلى أنه كتاب عبادة وهذا يدعو إلى إبراز الجانب التعبدي في القرآن الكريم بأفكار وصور جديدة، مع المحافظة على الأصول والثوابت، وهذا يقود إلى ما يلي:

- أن يكون القرآن الكريم جزءاً من المناهج الدراسية بصفة مستقلة، وليس حصة في الأسبوع؛ بهدف إتقان التلاميذ للقراءة الصحيحة، ومعرفة تفسيره.

- أن تكون أوقات حصص التلاوة، والتجويد في مقدمة الحصص (الأوقات) لا في مؤخرتها، وزيادة وقتها.
- أن يسعى العاملون في ميدان التربية والتعليم إلى استخدام الوسائل الحديثة؛ من أجل إتقان تلاوة القرآن الكريم.
- أن يشجع المتفوقون في تلاوة، وحفظ، وقراءة القرآن الكريم، وتعزيز هذا الجانب بشتى الحوافز المادية، والمعنوية.

* * *

المبحث الثاني: نزول القرآن الكريم وجمعه وكتابته، والمضامين التربوية:

يشمل هذا المبحث ثلاثة مطالب، الأول: طريقة نزول القرآن وترتيب الآيات، والسور، والثاني: جمع القران الكريم وكتابته، الثالث: المضامين التربوية في نزول القرآن وجمعه وكتابته.

المطلب الأول: طريقة نزول القرآن، وترتيب الآيات، والسور.

للقرآن الكريم تنزيلان: الأول: من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا جملة واحدة في ليلة القدر. ويدل على هذا التنزيل قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان: ٣]. والآخر: من السماء الدنيا إلى الأرض (مفرقا) في ثلاث وعشرين سنة، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء/١٠٦][1]. وقيل إن للقرآن الكريم تنزيلات ثلاثة، الأول إلى اللوح المحفوظ، والثاني إلى بيت العزة في السماء الدنيا، والثالث تفريقه منسجماً بحسب الحوادث[2]. وسواء أكان للقرآن الكريم تنزيلان أم ثلاث، فإن المهم أنه نزل منسجماً بحسب الحوادث، والوقائع المختلفة.

يقول السيوطي: "إنه نزل إلى السماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة، ثم نزل بعد ذلك منجماً.."[3]. ويقول أيضاً: " ... والسر في إنزاله جملة إلى السماء تفخيم أمره، وأمر من نزل عليه، ذلك بإعلام سكان السماوات السبع أن هذا آخر الكتب...، ولولا أن الحكمة الإلهية اقتضت وصوله إليهم منجماً بحسب الوقائع

(١) محمد الصابوني، التبيان في علوم القرآن، بيروت، دار الجيل، ٢٠٠١م، ص٤٨.

(٢) صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ط١، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٩م، ص٥١.

(٣) السيوطي، مرجع سابق، ١/١٨٣.

لهبط به إلى الأرض جملة كسائر الكتب المنزلة قبله، ولكن الله سبحانه باين بينه، وبينها فجعل له الأمرين: إنزاله جملة، ثم إنزاله مفرقاً تشريفاً للمنزل عليه..."[1].

ويتضح من كلام الإمام السيوطي بعض حكم إنزاله منجماً، منها: أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يعظم، ويفخم أمر القرآن، وأمر الرسول ﷺ ومنها: حكم نزول القرآن الكريم منجماً؛ تثبيت قلب رسول الله ﷺ، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان: ٣٢]. فالقرآن منهاج شامل للحياة جاء منجماً وفق الحاجات الحية للجماعة المسلمة، جاء ليكون منهج تربية، ومنهاج حياة لا ليكون كتاب ثقافة[2]. ومنها التخفيف عن النبي ﷺ من ثقل الوحي، فكان ﷺ إذا نزل الوحي بالقرآن الكريم تغيرت طبيعته البشرية حتى تتلاءم مع تلقي الملك، قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [المزمل: ٥]. ويروى أن الحارث ابن هشام ﷺ سأل رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: "أحيانا يأتيني في صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني، وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلاً، فيكلمني فأعي ما يقول. قالت عائشة: "ولقد رأيته ينزل عليه في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقاً[3]. ومنها تيسير حفظه والعمل به، فعن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: "إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة، والنار حتى إذا

---

(١) المرجع السابق، ١/ ١٨٩.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، القاهرة، دار الشروق، ط٢٥، ١٩٩٦م، ٥/ ٢٥٦٢.

(٣) موطأ مالك، ١/ ٢٠٢، حديث رقم ٤٧٥.

ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء (لا تشربوا الخمر) لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل (لا تزنوا) لقالوا: لا ندع الزنى أبداً"[1].

ومنها أن فيه ربطاً للأحكام بأسبابها، فيعين على فهم القرآن الكريم على الوجه الصحيح المقبول. أما عن ترتيب آياته، وسوره، فيقول السيوطي: "والإجماع، والنصوص المترادفة على ترتيب الآيات توقيفي لا شبهة في ذلك[2]، وأما ترتيب السور فهو خلاف بين جمهور العلماء[3].

وكان جبريل كلما نزل بشيء أرشد الرسول إلى مكانه ليقرأ القرآن مرتباً كما أراده الله تعالى وكما هو مدون في اللوح المحفوظ لا كترتيب نزوله، ولهذا كان صلى الله عليه وسلم كلما نزلت عليه الآية يقول: "ضعوها في السورة يذكر فيها كذا بين كذا، وآية كذا".

وهذا يدل على أن ترتيب الآيات في القرآن الكريم توقيفي بأمر الله سبحانه وتعالى، وتبليغ رسوله صلى الله عليه وسلم ، إلا أن هناك خلافاً ـ كما أشرنا ـ في ترتيب السور.

المطلب الثاني: جمع القرآن وكتابته وتدوينه[4]:

لجمع القرآن الكريم معنيان وردت النصوص بهما، ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا

---

(١) صحيح البخاري، ج٤، ص ١٩١٠، طرف حديث رقم ٤٧٠٧.

(٢) السيوطي، مرجع سابق، ٢٨٤/١.

(٣) المرجع السابق، ٢٩١/١.

(٤) محمد الصابوني، مرجع سابق، ص٣٩- ٤٩، والسيوطي، مرجع سابق، ٢٧٧١، وصبحي الصالح، مرجع سابق، ص٦٥ وما بعدها.

﴿جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٧]. ورد الجمع بمعنى الحفظ، وجماع القرآن أي حفاظه "والمعنى الثاني، هو كتابته كله مفرق الآيات والسور، أو مرتب الآيات فقط، كل سورة في صحيفة، أو مرتب الآيات والسور في صحائف مجتمعة تضم السور جميعا[١]، يقول ابن كثير: إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسابق الملك في قراءته، فتكفل الله سبحانه وتعالى له أن يجمعه في صدره، وأن يقرأه كما أنزل، وأن يبينه و يفسره للناس[٢].

والنبي ﷺ لم يكتفِ بحفظ الصحابة للقرآن الكريم، بل كان يأمر كتاب الوحي بكتابة ما ينزل وقت نزوله؛ لتوثيقه، وضبطه، وهؤلاء الكتاب هم أعلام الصحابة- رضوان الله عليهم- ومنهم زيد بن ثابت، وعلي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود - رضي الله عنهم أجمعين - . وبهذا يكون القرآن الكريم قد كتب في حياة النبي ﷺ، ولكن هذه الكتابة متفرقة، وغير مجموعة في مكان واحد، فكل صحابي يملك بعض آيات من القرآن الكريم.

وبعد لحاق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى، نشبت بين المسلمين والمرتدين عن الإسلام معارك كثيرة قتل فيها عدد من القراء والحفاظ، فخيف أن يضيع القرآن بموت الحفاظ، فتنبه عمر بن الخطاب ﷺ إلى الخطر الكبير الذي سيقع فبادر إلى أبي بكر الصديق يلح عليه بتدارك الخطر القادم.

وقام بهذا العمل الجليل (جمع القرآن) الصحابي الجليل زيد بن ثابت، وعاونه في ذلك عدد من الصحابة، وبهذا جمع القرآن الكريم في مكان واحد عند أبي بكر

---

(١) صبحي الصالح، مرجع سابق، ص٦٥

(٢) إسماعيل ابن كثير القرشي، تفسير القرآن العظيم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٩٣م، ٤٤٩/٤.

الصديق، فلما توفي كان عند عمر بن الخطاب، ثم وضع عند أم المؤمنين السيدة حفصة بنت عمر - رضي الله عنهم أجمعين - . فأبو بكر أول من جمع كتاب الله تعالى بين لوحين، وعمر سجل له التاريخ أنه صاحب الفكرة، كما سجل لزيد أنه وضعها موضع التنفيذ، وقد امتاز مصحف أبي بكر الصديق (المجموع) بالتحري الدقيق التام، والتثبت الكامل، وإجماع الأمة عليه، وتواتر ما سجل فيه من القراءات، بل وشمل القراءات السبع التي نقلت بالنقل الثابت الصحيح.

روى البخاري عن زيد بن ثابت ﷺ أنه قال: "أرسل إلي أبو بكر ﷺ مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب ﷺ عنده، قال أبو بكر ﷺ: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحرَّ يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن. قلت لعمر: كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هذا والله خير. فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر.

قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه. فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال: هو والله خير. فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر، وعمر - رضي الله عنهما - ، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب، واللخاف، وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدها مع أحد غيره: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم، فإن تولوا

فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم﴾. فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر في حياته، ثم عند حفصة بنت عمر - رضي الله عنهما- [1].

وفي خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ أشار عليه بعض الصحابة أن يكتب للناس مصاحف ويرسلها إلى الأمصار التي انتشر فيها الإسلام، حتى لا يقع في القرآن الكريم زيادة ولا نقص أو تغيير أو تبديل، فعهد عثمان بنسخ المصحف إلى أربعة من خيرة الصحابة وهم: زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث، فنسخوها، وأرسلها إلى البلاد، وأمر بحرق ما عداهن من المصاحف، وهي مصاحف فردية كتبها بعض الصحابة لأنفسهم، وصار الناس يقرؤون على مصحف واحد هو مصحف عثمان، ويكتبون منه مصاحفهم، وتتابعوا على ذلك حتى يومنا هذا.

ويدل على هذا الأمر ما رواه أنس بن مالك ﷺ روى البخاري عن أنس بن مالك ﷺ أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبدالله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف[2].

---

(١) صحيح البخاري: ج٤، ص١٩٠٨، حديث رقم ٤٧٠١.

(٢) صحيح البخاري، ج٤/ ص١٩٠٨، حديث رقم ٤٧٠٢

المطلب الثالث: المضامين التربوية في نزول القرآن وجمعه، وكتابته، وتدوينه:

إن الناظر في مبحث نزول القرآن، وجمعه، وكتابته، وتدوينه، يستخلص عدداً من التوجيهات التربوية المتعلقة بعناصر العملية التعليمية التعلمية وهي: المنهاج، والمعلم، والمتعلم، والطرائق، والأساليب، وفيما يلي التوجيهات الخاصة بكل عنصر من العناصر السابقة:

أولاً: التوجيهات المتعلقة بالمعلم:

١- المعلم يقدر نفسه، ويقدر الآخرين، ويحترم عقولهم، ويكون في مصطلحاته "لا أدري"، ويترتب على ذلك الرجوع إلى من هو أعلم منه والعودة إلى الكتب، والمصادر، والمراجع؛ للبحث والمراجعة. ونلحظ أن النبي ﷺ كان عندما يسأله جبريل يقول: ما أنا بقارئ، وفي التاريخ الإسلامي كان كثيرٌ من الأئمة، والعلماء الأعلام لا يخجل أن يقول (لا أدري)، فقد قال ابن مسعود ﷺ: "يا أيها الناس من علم شيئاً فليقل به، ومن لم يعلم، فليقل الله أعلم"[(١)]، فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم"، فقول المعلم (لا أدري) لا يضع منزلته، بل هذا يدل على التقوى، وكمال المعرفة، لأن المتمكن لا يضره عدم المعرفة بمسائل محدودة.

٢- المعلم يخفف على المتعلمين في تدريسه للمنهاج الدراسي، فيبدأ بتوضيح معالم هذا المنهاج شيئاً فشيئاً؛ حتى يستوعب، ويفهم المتعلم. فأسلوب التدرج في الأخذ والعطاء أنفع لكليهما. وهذا ما

(١) محيي الدين يحيى بن شرف النووي، مقدمة المجموع آداب العالم والمتعلم، مصر، طنطا، مكتبة الصحابة، ط١، ١٩٨٧م، ص ٤٢.

كان يفعله النبي ﷺ في تعليم الصحابة أحكام الإسلام التي نزلت في القرآن الكريم، فلا ينتقل من آية إلى أخرى حتى يطبق ما ورد في السابقة، لذا ينبغي على المعلم أن يكون حريصاً على تعليم الطلبة، مهتماً بهم، باذلاً وسعه في تفهيمهم متدرجاً معهم مجيباً عن أسئلتهم. والمعلم يتدرج بتعديل سلوك الأفراد، فينقلهم من سلوك إلى آخر؛ حتى يصل إلى السلوك القويم، فكان القرآن الكريم يتدرج في تعديل سلوك الأفراد، فكان أول ما نزل من القرآن الكريم ذكر الجنة والنار، ثم الحلال والحرام، فلو نزل أول الأمر الحلال، والحرام لما استجاب الناس.

٣- المعلم لا يترك المتعلم في حيرة من أمره، بل يساعده، ويعينه في ترتيب أموره؛ حتى لا يقع في حيرة من أمره، فكان جبريل يأمر النبي ﷺ بترتيب الآيات، والسور وفق اللوح المحفوظ، فلم يترك النبي ﷺ في حيرة في ترتيب الآيات، والسور. فالمعلم يحنو على المتعلم، ويعتني بمصالحه كاعتنائه بمصالح نفسه، وولده، ويحب له ما يحب لنفسه من الخير، حريصاً على تعليمه، وإذا فرغ من التعليم أمر بإعادته ليرسخ الحفظ.

٤- المعلم يستخدم شتى الأساليب والطرائق ويراعي الفروق الفردية؛ من أجل أن يتمكن المتعلم من حفظ المادة العلمية وفهمها، فكان النبي ﷺ حريصاً على كتابة القرآن الكريم مع أن الصحابة - رضوان الله عليهم - حفظوا ما نزل من القرآن الكريم، أي دعوة المتعلم إلى الأخذ بأسلوبين علميين؛ من أجل التمكن من المادة

العلمية التي يدرسها، وهما الكتابة والحفظ، فالمتأمل في طريقة حفظ القرآن الكريم، يخلص إلى أنه حفظ بطريقتين، الكتابة بالسطور، والحفظ في الصدور.

٥- المعلم يختار من الطلبة الأكفاء من أجل تكليفهم بمهام الأمور، فاختار النبي ﷺ مجموعة من خيار الصحابة - رضوان الله عليهم - كتاباً للوحي، وكذلك فعل أبو بكر، وعثمان بن عفان - رضي الله عنهما - . ولابد للمعلم من إثارة دافع المتعلم نحو التعلم، والدافع قوة أو طاقة نفسية تدفع الإنسان بشكل متواصل للقيام بالعمل المطلوب، فإثارة الدافعية تعد شرطاً لحدوث التعلم، فهي التي تدفع المتعلم إلى الانتباه إلى عناصر الموقف التعليمي، وتجعله يقبل على العملية التعليمية بانتباه، واهتمام، وحيوية، ويستمر بهذا النشاط حتى يتحقق التعلم المنشود.

٦- المعلم يستجيب إلى طلب المتعلم إذا وجد فيه الفائدة، والصلاح، فأبو بكر استجاب لطلب عمر، وعثمان استجاب لطلب حذيفة ـ رضي الله عنهم ـ .

٧- المعلم يقطع مادة الخلاف بقرار حاسم إذا كان في مصلحة المتعلمين، فعثمان بن عفان ﷺ أمر بحرق المصاحف الفردية، ووحد المسلمين على مصحف واحد؛ حتى لا يكون خلاف في القراءة في مستقبل الأيام.

٨- المعلم ينفذ ما وعد به المتعلمين؛ حتى لا تتزعزع ثقة المتربين فيه، فنلاحظ أن عثمان بن عفان عندما أخذ المصحف من السيدة حفصة

وعدها برجوعه إليها، وتم هذا الأمر.

٩- المعلم يحدد آلية عمل، وخطة للمتعلمين، ويفصل بينهم في الأمور التي يختلفون فيها، فهذا عثمان بن عفان يكلف رهطاً من الصحابة بنسخ المصحف وفق النسخة التي وجدت عند أم المؤمنين حفصة -رضي الله عنها- ويقول لهم: إذا اختلفتم أنتم وزيد في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم[1].

ثانياً: التوجيهات المتعلقة بالمتعلم:

١- إذا ما أراد المتعلم أن يكون له مكانة مرموقة في المجتمع، أو حتى على مستوى الإنسانية، فلا بد من مقدمات وأحوال، واجتهادات يبذلها...، فالنبي ﷺ كانت له هذه المقدمات، فقد اعتاد الخلاء، والتفكر، والتدبر...، وابتعد في شبابه عن كل مظاهر اللهو، والعبث.

٢- لا بد أن يكون المتعلم مستعداً نفسياً، وجسمياً، ولا بد من التهيئة القبلية، حتى يكون التعليم مؤثراً، ومحققاً للنتائج المرجوة، فالنبي ﷺ كان مستعداً للتعلم نفسياً، وجسمياً، والذي حدث معه في بداية التعليم -الوحي- كان بسبب المفاجأة.

٣- المتعلم ينبه المعلم إلى أمور قد تسبب خللاً في المنهاج الدراسي، أو في العملية التعليمية، وله أن يحاول إقناع المربي دون إجبار، وبأسلوب حسن، فيطرح السلبيات، والإيجابيات، فعمر ﷺ

(١) صحيح البخاري، ج٤، ص١٩٠٨، طرف حديث رقم ٤٧٠٢.

عندما رأى أن الخطر بدأ يقترب من القرآن الكريم بادر إلى اقتراح بجمع القرآن الكريم وقد تركه مفرقاً، وكذلك اقترح حذيفة بن اليمان نسخ القرآن عندما شاهد اختلاف الناس في القراءة.

ثالثاً: التوجيهات المتعلقة بالمنهاج، والأهداف:

١- ينبغي صياغة المناهج وفق التربية القرآنية للأفراد والجماعات التي سارت بطريقين متوازيين لا ينفكان، التنفير من السلوكات المستهجنة، والجذب إلى السلوكات المستحسنة:

والتربية القرآنية تمتاز بأنها صياغة إلهية محكمة لا تقبل جدلاً، ولا يجري عليها تغير، وهي تربية كاملة تحمل كل مقومات البقاء، والعطاء، ولا توجد بها ثغرة واحدة، لذا فهي كاملة بكمال القدرة الإلهية، وهي صالحة لكل زمان، ومكان، وهي تربية عالمية تتخطى حواجز المكان، ولا تخضع للعوامل الجغرافية، والمكانية، ولا تعرف العشوائية[1].

٢- ضرورة صياغة الأهداف التربوية، واختيار المادة العلمية التي تدرس، وارتباطاتها بحاجات المجتمع المختلفة، فالقرآن المكي يختلف في الأسلوب، والموضوع والهدف عن القرآن المدني، وهذا يقود إلى الحديث عن ضرورة أن يبنى المنهاج التربوي على غرس العقيدة الإسلامية في نفوس الأبناء في المراحل الأولى للتدريس.

٣- المناهج الدراسية يجب أن تبنى بناء سليماً، ويتمثل هذا البناء في أن تركز المناهج الدراسية في كل وحدة دراسية على وحدة الموضوع،

(١) مصطفى رجب، الإعجاز التربوي في القرآن، إربد، عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٥م، ص ٦- ١١.

فنلاحظ أن السورة القرآنية الواحدة تمثل وحدة الموضوع، وأن لا تكون فقرات، أو وحدات المناهج الدراسية منفصلة عن بعضها انفصالاً تاماً، بل الواجب أن تتأكد الموضوعات المهمة في جميع الوحدات الدراسية. فالحذر أن يكون انفصام بين جوانب المنهج، مما يؤدي إلى اختلاف شخصية الإنسان، فتختلف شخصيته وهو ناسك متعبد عنها وهو في موقع من مواقع الحياة العملية[1].

٤- يفيد مصممو المناهج الدراسية، في العملية التعليمية – بالآتي:

أ- صياغة الأهداف التربوية العامة، والأهداف السلوكية التعليمية صياغة علمية دقيقة؛ للتمكن من تحقيقها وفق الفترة الزمنية المعدة لها، فالتخبط الذي تعاني منه نظم التعليم، يرتبط ارتباطاً وثيقاً بصياغة الأهداف، بالإضافة إلى تبني المشروع الغربي في صياغة الأهداف التربوية، ولحل هذه الإشكالية لا بد من صياغة أهداف تربوية في ضوء القرآن الكريم[2]، ومن منطلقات هذه الخطوة:

١- ثبات الأهداف إذا ما اشتقت من مصدر لا يتغير كالقرآن الكريم، وهذا الثبات يحقق للنظم التعليمية القدرة على إنجاز مهامها.

٢- إبراز الهوية الإسلامية في صياغة الأهداف التربوية، والتصدي للاتهام بأن التربية الإسلامية تربية مواعظ.

ب- المحتوى الدراسي، والذي هو منظومة الخبرات التربوية التي تهيئها المؤسسة التربوية لتلاميذها، وذلك لمساعدتهم على النمو الشامل

(١) مصطفى البغا، جوانب تربوية في أصول الفقه الإسلامي، إربد، عالم الكتب الحديث، ط١، ٢٠٠٦م.

(٢) محمد فاضل الجمالي، الفلسفة التربوية في القرآن الكريم، بيروت، دار الكتاب، ١٩٨٠م، ص ١٣.

المتكامل المتوازن [1].

فلا بد أن يحتوي على الأحكام الشرعية المختلفة بحسب مراحل النمو المختلفة للمتعلم، وأن تبين فيه الأحكام الشرعية بطريقتين: الإجمالي، والتفصيلي، وأن يحتوي على نصوص شرعية مكية، ومدنية؛ حتى يستطيع أن يفرق بينهما.

ج- استخدام مختلف الوسائل، والأساليب، والأنشطة التعليمية، وأن يفيد من الأساليب ببيان المكي، والمدني في شرح المحتوى التعليمي.

د- استخدام المعلم للتقويم بأن تكون هناك مرحلتان للتقويم، المرحلة العامة الإجمالية، ثم المرحلة التفصيلية.

رابعاً: التوجيهات المتعلقة بالطرائق والأساليب:

١- التلقين أسلوب مهم في تعليم المبتدئين أساسيات العلوم، ومبادئها - فجبريل عليه الصلاة والسلام - لقن النبي ﷺ القرآن الكريم. ولا يفهم من التلقين عدم الفهم، بل هو تلقين مبني على الفهم.

٢- التنويع في أساليب التدريس، فالقرآن الكريم منه المكي، ومنه المدني، وكل له أسلوبه الخاص به، وهذا يقود إلى ضرورة الأخذ بعين الاعتبار: الزمان، والمكان أسلوباً، وموضوعاً، ومخاطبة الناس على قدر عقولهم.

المبحث الثالث: إعجاز القرآن الكريم، والمضامين التربوية:

يشمل هذا المبحث مطلبين: المطلب الأول: إعجاز القرآن الكريم، والمطلب الثاني: المضامين التربوية في إعجاز القرآن الكريم.

---

(١) فؤاد مرسي، علم مناهج التربية من المنظور الإسلامي، طنطا، دار الإسراء، ٢٠٠٤م، ص ٣٣.

المطلب الأول: إعجاز القرآن الكريم:

قبل البدء بالحديث عن إعجاز القرآن الكريم لا بد من توضيح معنى المعجزة، والتي هي أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة[1]. أما كلمة إعجاز، فلم يكن هذا المصطلح معروفاً في عهد النبوة، والصحابة، والتابعين إنما عرف فيما بعد، ويغلب أن هذا المصطلح لم يظهر قبل القرن الثاني الهجري، فنشأ في بيئة المتكلمين الذين كانوا يدافعون عن القرآن الكريم[2].

فالقرآن الكريم معجزة سيدنا محمد ﷺ، وهو معجزة معنوية، وليست مادية، كإبراء الأكمه، والأبرص، والتي هي معجزة سيدنا عيسى عليه السلام، وانقلاب العصا حية تسعى والتي هي معجزة سيدنا موسى عليه السلام.

ومما يدل على أن القرآن الكريم معجزة معنوية قوله ﷺ: "ما من نبي من الأنبياء إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة"[3].

وقد قيل في معنى الحديث إن معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض عصورهم، فلم يشاهدها إلا من حضرها، أما معجزة القرآن فباقية إلى يوم القيامة بأسلوبه، وبلاغته، وإخباره بالمغيبات، فلا يمر عصر إلا ويظهر فيه مما أخبر به القرآن.

وقيل إن المعجزات الماضية كانت حسية تشاهد في الأبصار كناقة صالح، أما معجزة القرآن الكريم فتشاهد بالبصيرة أي العقل، فيكون من يتبع الرسول لأجلها أكثر، وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية؛ لفرط ذكائهم، وكمال أفهامهم، ولأن

---

(١) السيوطي، مرجع سابق، ٤/٤٣.

(٢) فضل حسن عباس، إعجاز القرآن الكريم، عمان، ١٩٩١م، ص٢٨.

(٣) صحيح مسلم، ج١، ص١٣٤، حديث رقم ١٥٢.

هذه الشريعة خصت بالمعجزة العقلية الباقية، ليراها ذوو البصائر[1]. وبقيت الإشارة إلى أن كون القرآن الكريم معجزة معنوية يتفق مع عموم الشريعة، وخلودها[2].والإعجاز بصفة عامة هو ضعف القدرة الإنسانية عن مباشرة المعجزة، رغم الحرص على إبطالها، واستمرار هذا الضعف حاضراً ومستقبلاً، وبهذا يظهر صدق النبي ﷺ في دعواه الرسالة[3] بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨]. فالآية الكريمة تؤكد أمرين، الأول: أن إعجاز القرآن الكريم مسلمة دينية، والآخر: أن عجز الإنسان عن مواجهة القرآن حقيقة تاريخية، فالتحدي ما زال مستمراً.

ومع أن التحدي يستفز الهمم، ويبعث على المعارضة إلا أن العرب عجزوا عن أن يأتوا بمثله بالرغم من توافر شروطه، الأول: أي طلب المبارزة والمعارضة، والثاني: أن المقتضى الذي يدفع إلى التحدي، والمبارزة قائم، فالقرآن الكريم سفه، ونقد، وسخر من الكفار، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٨- ٩٩].

وكان العرب حريصين على إبطال دعوة محمد ﷺ، فلو كانوا قادرين لجاءوا بما يعارض القرآن الكريم، والأمر الثالث: أن المانع الذي يمنع من التحدي منتفٍ،

(١)السيوطي، مرجع سابق، ٤/٤٣- ٤٤.

(٢) إبراهيم عبد الرحمن. علم أصول الفقه، عمان، مكتبة دار الثقافة، ١٩٩٩م، ص٢١.

(٣) مصطفى البغا، مرجع سابق، ص٤٤.

فهم أهل البلاغة، والفصاحة، والمعرفة باللغة العربية، وأن القرآن نازل بلغة العرب، وكذلك اتساع الوقت، والاستعانة بمن يريدونه، فاستمر نزول القرآن الكريم ثلاثاً وعشرين سنة، وهذا وقت يتسع للمعارضة بشكل رئيسي...[1].

فكون القرآن الكريم معجزاً دليلٌ على أن الله سبحانه وتعالى أراد بقاء إعجازه، وبقاء الإعجاز دليل على بقاء الرسالة، فالرسالة باقية ما بقي الإعجاز، والإعجاز باقٍ ما بقي القرآن[2].

بعض وجوه الإعجاز في القرآن الكريم:

يقول السيوطي: "اختلف أهل العلم في وجه إعجاز القرآن، فذكروا في ذلك وجوهاً كثيرة كلها حكمة، وصواب، وما بلغوا في وجوه إعجازه جزءاً واحداً من عشر معشاره "[3].

فإعجاز القرآن الكريم سر لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى منزل القرآن، فالعلماء طرقوا باب الإعجاز في كل عصر، فلم ينفرج إلا عن بعض وجهه، فكلما أمعنوا العقول انكشفت لهم حقائق، ووجوه للإعجاز كانت سراً كامناً من قبل، فكلما تجدد الزمان ظهرت أدلة جديدة، وبراهين إعجاز؛ لأن كلام الله لا يحيط به أحد، كما لا يحيط أحد بعظمة الحق سبحانه وتعالى. وفيما يلي عرض لأبرز وجوه الإعجاز القرآني: الإعجاز البلاغي ـ اتساق عباراته، ومعانية وأحكامه، وإخباره بأحداث الأمم السابقة، وبأحداث تحدث في المستقبل، والإشارة إلى بعض الحقائق

---

(١) عبد الوهاب خلاف، علم أصول الفقه، بيروت، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٤م، ص١٨- ١٩.
عبد الكريم زيدان، مرجع سابق، ص١٥٤.

(٢) محمد شلبي، مرجع سابق، ص٨٨.

(٣) السيوطي، مرجع سابق، ٦١/٤.

الكونية التي أثبتها العلم الحديث، والإعجاز بنغم القرآن الكريم، والتأثر به. والإعجاز النفسي.

المطلب الثالث: المضامين التربوية في إعجاز القرآن الكريم:

١- تربية المتعلم على إدامة التفكير، والتأمل، وإمعان النظر، وربط الأسباب بالمسببات، والمقدمات بالنتائج؛ من أجل الوصول إلى المعرفة الصحيحة، ويدل على هذا تعدد وجوه الإعجاز القرآني في كل عصر. فظهر في هذا العصر الإعجاز العلمي الذي لم يكن بارزاً في السابق، فالإعجاز العلمي مثلاً أسلوب في الدعوة إلى دين الله بلغة مناسبة في عصر تتفجر فيه المعرفة العلمية وتتطور وسائل التقنية الذي نعيشه[1].

٢- تربية المتعلم على أن له قدرات، وطاقات محدودة لا يمكن له أن يتجاوزها في بعض الجوانب، مثل التفكير في ذات الله سبحانه وتعالى.

٣- تربية المتعلم على استخدام أساليب عدة في عرض الموضوعات المختلفة، فكل موضوع له أسلوبه المعجز، فإذا كان الموضوع تبياناً لعدة المطلقة، أو تحديد نصيب الوارث في الإرث، فلا مجال للأسلوب الخطابي المؤثر، وإذا كان الموضوع تسفيها لعبادة الأوثان، أو الاستدلال على قدرة الله تعالى ففيه مجال للأسلوب الخطابي المؤثر.

---

(١) زغلول النجار، حقائق علمية في القرآن الكريم، بيروت، دار المعرفة، ٢٠٠٥م، ص٨.

٤- ضرورة أن تتضمن المناهج الدراسية المختلفة (العلوم، الرياضيات، علم الاجتماع) بعض وجوه الإعجاز القرآني، لا أن تعرض وجوه الإعجاز في كتب التربية الإسلامية فقط.

٥- تربية المتعلم على أن يتوجه للتخصصات المختلفة كالطب، والفيزياء، والكيمياء، والتربية، ثم يقرأ القرآن الكريم بمنظار تخصصه، فيكون مدعاة لاكتشاف وجوه جديدة للإعجاز لم تكن موجودة سابقاً. فتزيد إيمانه، وتعلقه بكتاب الله تعالى.

٦- للمربي أن يبين للمتعلمين بعض ميزات المنهاج الدراسي، وفضله على غيره من الكتب الأخرى؛ حتى يكون سبباً في تمسك المتعلمين بمنهاجهم الدراسي الذي يدرسونه.

فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يبين للصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ميزات، وخصائص القرآن الكريم، وفضله على غيره من الكتب السماوية السابقة.

٧- المربي يترك للمتعلمين فرصة اكتشاف ميزات، وخصائص جديدة للمنهاج الدراسي عن طريق دعوتهم إلى المقارنة بينه، وبين غيره من الكتب الأخرى. فالرسول ﷺ لم يبين ميزات، وخصائص القرآن جميعها، بل ذكرها بصورة مجملة. وفي العصور المتأخرة بدأ الحديث عن وجوه إعجاز جديدة لم تكن معروفة سابقاً.

٨- الإعجاز التربوي في هذا العصر ضرورة تتطلبها الفترة الزمنية التي نعيشها شريطة أن يتهيأ ذوو الاختصاص؛ لإبراز هذا الجانب، فالقرآن الكريم مصدر تربوي لا يعتريه نقص، وهو منهج

متكامل، إن طبقناه أعطانا الأفضل، والأكمل... فقد كان القرآن الكريم كتاب القراءة الوحيد لفترة زمنية طويلة، حتى بدأ تدوين الحديث الشريف، ومن الضوابط اللازمة للتعامل مع الإعجاز التربوي في القرآن الكريم ما يلي:

أ- فهم النص القرآني وفق دلالات الألفاظ في اللغة العربية، فالقرآن الكريم أنزل بلسان عربي مبين.

ب- عدم التكلف في فهم النص، أي عدم لي أعناق الآيات لكي توافق القضايا التربوية، وعدم تحميل الآيات ما لا تحتمل.

ج- عدم الخوض في القضايا الغيبية، كالروح، والملائكة والجن وراء ما ثبت عنها في القرآن والسنة.

د- تحري الدقة المتناهية في التعامل مع القرآن الكريم، مع إخلاص النية لله سبحانه وتعالى.

هـ- التأهيل العلمي المناسب لمن يتصدى للإعجاز التربوي في القرآن الكريم.

* * *

الخاتمة:

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى. أما بعد، فقد توصل البحث إلى النتائج الآتية:

أولاً: أن هناك قصوراً من المختصين في العلوم التربوية في ربط علوم التربية بعلوم الشريعة، خاصة علوم القرآن التي تُعدُّ سياجاً منيعاً للعلوم التربوية، فثمة فرق بين قضية تربوية يتوصل إليها من الناحية الشرعية، وقضية تربوية تعتمد على اجتهادات البشر وآرائهم.

ثانياً: تعد مباحث علوم القرآن من المصادر المهمة في علوم التربية، ويدل على هذا:

أ- تعريف القرآن الكريم يفيد في أمرين تربويين مهمين، الأول: أساسيات تربوية يجب أن تستند إليها العملية التربوية، مثل أن تكون العبودية لله هي القاعدة الأساس للتربية، وضرورة أن يبنى الفكر التربوي على احترام العقل الإنساني وبمنهجية علمية، والآخر: أهداف تربوية يجب أن تسعى المؤسسات التربوية إلى تحقيقها، مثل: زيادة الاهتمام باللغة العربية، وبيان أهمية القراءة، ودورها في العملية التربوية، والتعريف برسالة القرآن، والكشف عن الحقائق القرآنية العلمية، والتربوية، وإبراز الجانب التعبدي في القرآن الكريم.

ب- نزول القرآن الكريم وكتابته وجمعه يُستخلص منها عددٌ من التوجيهات التربوية المتعلقة بمختلف عناصر العملية التعليمية، وهي: المنهاج، والمعلم، والمتعلم، والطرائق، والأساليب.

ج- إعجاز القرآن الكريم يفيد في عدد من التوجيهات المتعلقة بعناصر

العملية التعليمية، ويبرز الإعجاز التربوي في القرآن.

التوصيات:

يوصي الباحث بـ:

أولاً: إجراء دراسات وأبحاث حول بقية مباحث علوم القرآن بخاصة، والعلوم الشرعية بعامة، واستخلاص مضامين تربوية منها.

ثانياً: العمل على الكشف عن أوجه الإعجاز التربوي في القرآن الكريم.

* * *

فهرس المصادر والمراجع :

١- إبراهيم عبد الرحمن خليفة، **منة المنان في علوم القرآن**، مصر، مطبعة الفجر الجديد، ط١، ١٩٩٣م.

٢- إبراهيم عبد الرحمن. **علم أصول الفقه**، عمان، مكتبة دار الثقافة، ١٩٩٩م.

٣- إسماعيل بن كثير القرشي، **تفسير القرآن العظيم**، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٩٣م.

٤- جلال الدين السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن** (٩١١هـ) تحقيق د.محمود قيسية، ومحمد الأتاسي، ط١، الإمارات العربية المتحدة، مؤسسة النداء، ٢٠٠٣م.

٥- زغلول النجار، **حقائق علمية في القرآن الكريم**، بيروت، دار المعرفة، ٢٠٠٥م.

٦- زكي شعبان، **أصول الفقه الإسلامي**، القاهرة، دار الكتاب الجامعي، ١٩٨٩م.

٧- سيد قطب، **في ظلال القرآن**، القاهرة، دار الشروق، ط٢٥، ١٩٩٦م.

٨- صبحي الصالح، **مباحث في علوم القرآن**، ط١، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٩م.

٩- عبد الكريم زيدان، **الوجيز في أصول الفقه**، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ٥، ١٩٩٦م.

١٠- عبد الوهاب خلاف، **علم أصول الفقه**، بيروت، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٤م.

١١- عماد طه الراعوش، **علوم القرآن عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير، دراسة ونقد**، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة اليرموك، كلية الشريعة، ٢٠٠٥م.

١٢- فؤاد مرسي، **علم مناهج التربية من المنظور الإسلامي**، طنطا، دار الإسراء، ٢٠٠٤م.

١٣- فضل حسن عباس، **إعجاز القرآن الكريم**، عمان، دون ناشر، ١٩٩١م.

١٤- مالك بن أنس، **الموطأ**. بيروت، المكتبة الثقافية، ط٢، ١٩٩٢م.

١٥- محمد الصابوني، **التبيان في علوم القرآن**، بيروت، دار الجيل، ٢٠٠١م.

١٦- محمد إمام، **أصول الفقه الإسلامي**، القاهرة، دار المطبوعات الجامعية، ٢٠٠٢م.

١٧- محمد بن إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري**، تحقيق: مصطفى البغا، اليمامة، دار ابن كثير، ط١، ١٩٨٧م.

١٨- محمد بن محمد أبوشهبة، **المدخل لدراسة القرآن الكريم**، بيروت، لبنان، دار النيل، ١٩٩٢م.

١٩- محمد شلبي، **أصول الفقه الإسلامي**، بيروت، دار النهضة، ١٩٨٦م.

٢٠- محمد عبد العظيم الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٠م.

٢١- محمد عبد العظيم الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٦م.

٢٢- محمد فاضل الجمالي، **الفلسفة التربوية في القرآن الكريم**، بيروت، دار الكتاب، ١٩٨٠م.

٢٣- محمد ناجح أبو شوشة، **المضامين التربوية في أهم مصادر المذهب الشافعي**، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة جنوب الوادي، جمهورية مصر العربية، ٢٠٠٢م.

٢٤- محيي الدين يحيى بن شرف النووي، **مقدمة المجموع آداب العالم والمتعلم**، مصر، طنطا، مكتبة الصحابة، ط١، ١٩٨٧م.

٢٥- مسلم بن الحجاج النيسابوري، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي؛ دار إحياء التراث العربي، دون تاريخ.

٢٦- مصطفى ديب البغا، **الجوانب التربوية في أصول الفقه الإسلامي**، إربد، عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٦م.

٢٧- مصطفى رجب، **الإعجاز التربوي في القرآن**، إربد، عالم الكتب الحديث،

٢٠٠٥م.

٢٨- مناع القطان، **مباحث في علوم القرآن**، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٩٦م.

٢٩- نور الدين بلبل، **الارتقاء بالعربية في وسائل الإعلام**، سلسلة كتاب الأمة، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، عدد ٨٤، سنة ١٤٢٢هـ.

٣٠- وهبة الزحيلي، **الوجيز في أصول الفقه**، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٦م.

* * *